التّقليد الشّفوي للأغاني الشّعبيّة في بلاد الشّام

بحث مختصر حول الجذور التّاريخيّة، الخصائص الفنّيّة، ودور الأغاني الشّعبيّة في حفظ الهويّة الثّقافيّة ضمن مشروع "ذاكرة الجدّات"

إعداد الباحثة: أريج أبو حرب

أيّار 2026

مقدّمة البحث

1. التّقليد الشّفوي للأغاني الشّعبيّة في بلاد الشام

تعدّ الأغاني الشّعبيّة الشّفويّة جزءًا لا يتجزّأ من التّراث الثّقافي لمنطقة بلاد الشّام، والّتي تضمّ سوريا ولبنان وفلسطين والأردن. يشكّل هذا التّقليد أحد أهمّ الوسائل الّتي استخدمتها الشّعوب للتّعبير عن مشاعرها، وأفراحها، وأحزانها، وأحلامها، وهو مستودع حيّ للذّاكرة الجماعيّة وناقل لمزايا الهويّة الثّقافيّة. في هذا النّص، نستعرض نشأة التّقليد الشّفوي للأغاني الشّعبيّة في بلاد الشّام، خصائصه، أنواعه، ودوره في حفظ الهويّة الثّقافيّة.

2. أهميّة دراسة الأغاني الشّعبيّة الشّفويّة

تحظى دراسة الأغاني الشّعبيّة الشّفويّة بأهميّة كبيرة في ظل التّغيّرات الاجتماعيّة والثّقافيّة المتسارعة، وتسهم في توثيق الموروث الشّعبي الّذي يفتقر في بعض الأحيان إلى التّدوين والتّوثيق، لحمايته من الاندثار وإتاحته للأجيال القادمة. كما تساعد دراسة الأغاني الشّعبيّة في فهم تطوّر اللّغة المحكيّة، اللّهجات المحليّة، والعلاقات الثّقافيّة بين المجتمعات.

3. هدف البحث

يهدف هذ االبحث إلى تقديم دراسة موجزة حول الأغاني الشّعبيّة الشّفويّة، من خلال استعراض جذورها التّاريخيّة، خصائصها الفنّيّة، ووظائفها الاجتماعيّة والثّقافيّة مع التّركيز على دورها في حفظ الهويّة الثّقافيّة والذّاكرة الجمعيّة. كما يبرز أهميّة توثيق هذا الموروث الشّعبي في ظلّ التّحديّات الّتي تهدّد استمراريّته. يندرج هذا البحث ضمن إطار مشروع "ذاكرة الجدّات" الّذي يعمل على توثيق الأغاني الشّعبيّة الّتي تحفظها النّساء في بلاد الشّام، بوصفهن حارسات هذا الموروث الشّعبي.

وقد تمّ إعداد هذا المنشور ضمن مشروع «سفير - سفراء من أجل المتوسّط (SAFIR)»، التّابع للشّبكة العربيّة للمنظّمات غير الحكوميّة للتنميّة (ANND) والمعهد الفرنسي، والممول من صندوق FEF".

فهرس المحتوى

مقدّمة البحث 2
الجذور التّاريخيّة للأغاني الشّعبيّة الشّاميّة 4
الخصائص الفنّيّة للأغاني الشّفويّة 4
أنواع الأغاني الشّعبيّة الشّفويّة في بلاد الشّام 4
دور الأغاني الشّفويّة في حفظ الهويّة 5
انتقال الأغنية الشّفويّة بين الأجيال 5
أمثلة لأغاني شعبيّة شاميّة معروفة 5
أثر الأغاني الشّفويّة على الفنون الأخرى 6
بعض المراجع المُقترحة 6

الجذور التّاريخيّة للأغاني الشّعبيّة الشّاميّة

ترجع جذور الأغاني الشّعبيّة في بلاد الشّام إلى قرون بعيدة، إذ تطوّرت عبر الأجيال لتواكب تحوّلات المجتمع. يُعتقد أنّ هذه الأغاني بدأت كنمط من التّواصل اليومي بين أبناء القرى والبوادي، ثمّ تطوّرت لاحقًا لتأخذ أشكالًا أكثر تعقيدًا وتنوّعًا. وتأثّرت الأغاني الشّاميّة بحضاراتٍ عدّة عاشت أو مرّت بالمنطقة مثل الكنعانيّين، والآراميّين، والرّومان، والعرب، ما أضفى عليها غنًى وتنوّعًا فريدًا.

الخصائص الفنّيّة للأغاني الشّفويّة

تتميّز الأغاني الشّعبيّة الشّفويّة بخصائص فنّيّة عدّة، أبرزها:

- اللّغة البسيطة والعاميّة: تُكتب الأغاني بلغة قريبة من العامّة، بعيدة عن التّعقيد، بحيث يسهل حفظها وترديدها من قبل الجميع.
- الوزن والإيقاع: تعتمد معظم الأغاني على أوزان وإيقاعات متكرّرة تُسهّل تداولها وحفظها، وغالبًا ما تُغنّى جماعيًّا في المناسبات والأفراح والتجمّعات. وزنها بسيط وإيقاعها بسيط.
- العفويّة والتلقائيّة: لا تتطلّب الأغاني الشّفويّة ترتيبات موسيقيّة معقّدة، وغالبًا ما تُغنّى دون آلات، أو بمصاحبة آلات بسيطة مثل الرقّ، أو الرّبابة، أو الطّبلة.
- الموضوعات من الحياة اليوميّة: تتناول الأغاني موضوعات من الحياة اليوميّة، مثل الحبّ، العمل، الحنين، الفراق، الطّفولة، الحصاد، الحرب، وغيرها من قضايا المجتمع. وهي تحمل الذّكريات والمشاعر وتعيدها وتغيّرها.

أنواع الأغاني الشّعبيّة الشّفويّة في بلاد الشّام

تتنوّع الأغاني الشّفويّة في بلاد الشّام وتشمل قوالب فنّيّة وموسيقيّة مختلفة، أهمّها:

1. الزّجل: يُعدّ الزّجل من أشهر أشكال الشّعر والغناء الشّعبي في بلاد الشّام، ويعتمد على التّلاعب اللّفظي والإيقاعي. الزّجل هو شعر ملحّن يُغنّى في المناسبات الاجتماعيّة ويعتمد على الحوار بين مُغنّيَيْن اثنَيْن أو أكثر.

2. العتابا والميجانا: تُعدّ العتابا والميجانا من أبرز القوالب الغنائيّة الّتي انتشرت في الرّيف الشّامي، وهما من الأشكال الشّفويّة الّتي تعتمد على التّعبير عن المشاعر بطريقة بسيطة وعذبة. العتابا تتكوّن غالبًا من أربعة أبيات تعتمد على الحروف المتشابهة في نهاياتها، وتعبّر عن الحنين أو الفراق أو الحكمة. أمّا الميجانا فهي أغانٍ جماعيّة تُغنّى في الأعراس والسّهرات وتتميّز بإيقاعها الحماسي.

3. أغاني الأعمال والنّشاطات: ظهرت أغاني العمل كاستجابة طبيعيّة لاحتياجات الفلّاحين والصّيّادين والعُمّال لتشجيع الذّات وتخفيف عناء العمل. يُردّد العمّال الأغاني أثناء الحصاد، أو جمع الزّيتون، أو حتّى في الورش والمصانع، وتتميّز هذه الأغاني بإيقاعاتها المتناغمة مع حركة العمل.

4. الأغاني الفولكلوريّة الخاصّة بالمناسبات: هناك أغاني خاصّة بكل مناسبة اجتماعية في حياة الشّامي، مثل أغاني الأعراس، أغاني المواليد، وأغاني الحزن والرّثاء. تعكس هذه الأغاني الطّقوس والعادات الاجتماعيّة وتُستخدم لتكريس اللّحظة أو لتخفيف وقع الفقد.

دور الأغاني الشّفويّة في حفظ الهويّة

تلعب الأغاني الشّعبيّة الشّفويّة دورًا محوريًّا في حفظ الهويّة الثّقافيّة للأجيال المتعاقبة في بلاد الشّام، وتُعدّ وسيلةً لنقل القيم والعادات والتّقاليد من جيل إلى آخر. كما تساهم في تعزيز روح الانتماء للمكان والجماعة، وتُرسّخ في الذّاكرة الجَمعِيّة أحداثًا تاريخيّة أو بطولات أو مواقف اجتماعيّة.

نقل القيم: كثيرٌ من الأغاني تحمل رسائل عن الوفاء، وحبّ الأرض، والكرم، والشّجاعة، والأمل.

حفظ اللّغة والتراث: تساعد الأغاني الشّفويّة في حفظ اللّهجات المحليّة، والأمثال الشّعبيّة، والتّعابير الفريدة لكلّ منطقة.

التّماسك الاجتماعي: تشكّل الأغاني الشّفويّة عنصرًا جامعًا بين أفراد المجتمع، وتُستخدم في الاحتفالات الجماعيّة لتقوية الرّوابط الاجتماعيّة.

انتقال الأغنية الشّفويّة بين الأجيال

شهدت طرق نقل الأغاني الشّفويّة تطوّرات عديدة؛ في الماضي، كان النّقل يتمّ حصريًّا عبر الاستماع والتّرديد في المجالس، والأعراس، والحقول، والأسواق. ومع تطوّر وسائل الإعلام، انتقلت بعض الأغاني الشّعبيّة إلى الإذاعة والتّلفزيون، ثمّ إلى المنصّات الرّقميّة ووسائل التّواصل الاجتماعي، ما ساعد في انتشارها لكن أدّى أحيانًا إلى تغييرات في النّصوص والألحان. تواجه الأغاني الشّفويّة تحدّيات عديدة في الوقت الرّاهن، أبرزها:

الاندثار التّدريجي: مع سيطرة الأغاني الحديثة وابتعاد الأجيال الجديدة عن التّراث، بدأت بعض الأنماط القديمة تختفي تدريجيًّا.

التّحريف والتّغيير: قد تؤدّي عمليّة الانتقال الشّفهي إلى تحريف في النّصوص أو تبديل في الألحان، مما يُفقد بعض الأغاني أصالتها.

التّوثيق والبحث: هنالك نقصٌ في جهود التّوثيق العلميّ والمنهجيّ للأغاني الشّفويّة، ما يعرّض الكثير منها للضّياع.

أمثلة لأغاني شعبيّة شاميّة معروفة

هناك العديد من الأغاني الشّاميّة الّتي انتقلت عبر الأجيال وأصبحت رمزًا للذّاكرة الشّعبيّة، مثل:

يا ظريف الطّول: أغنية فلسطينيّة شهيرة تعبّر عن الحنين والوطن.

عالرّوزانا: أغنية لبنانيّة-شاميّة تحكي عن التّجارة على قافلة الرّوزانا.

يا مال الشّام: أغنية سوريّة تعبّر عن حبّ دمشق وذكريات الطّفولة.

هالأرض أرضنا: أغنية أردنيّة احتفاليّة بالأرض والوطن.

أثر الأغاني الشّفويّة على الفنون الأخرى

كان للأغاني الشّفويّة الشّاميّة أثرٌ كبيرٌ على الفنون الأخرى، مثل المسرح، والدراما، والسّينما. كثيرٌ من المخرجين والكتّاب يستلهمون من هذه الأغاني أجواء أعمالهم، ويستخدمونها لتجسيد البيئة الشّاميّة بدقّة وواقعيّة، كما يعتمد عليها الفنّانون في إحياء الأمسيات الموسيقيّة.

في الختام، تُعدّ الأغاني الشّعبيّة الشّفويّة في بلاد الشّام أحد أعمدة التّراث الثّقافي، ومرآة لحياة النّاس وتطلّعاتهم وأحلامهم. ورغم التّحدّيات الّتي تواجهها، فإنّها ما زالت حاضرةً بقوّة في الذّاكرة والوجدان، وتحتاج إلى مزيد من الاهتمام والتّوثيق لضمان استمرارها ونقلها للأجيال القادمة.

بعض المراجع المُقترحة

- A Study on the Levant People's Way of Thinking through the Texts of Songs — Eun Kyeong Yun (2010)
- Bedouin Folk Song as Cultural Archive: Gender, Memory, and Oral Tradition in the Galilee — Randa Sawaed (2026)
- Ya Zarif al-Toul – A Palestinian Folksong — Jeries Khoury (1999)
- New Words to Old Tunes: Genres and Metrics of Lebanese Zajal Poetry — Adnan Haydar (2025)
- Dabkeh al Djoufieh: Exploring the Sustainability of Jordanian Folklore — Tsonka Al Bakri & Mohammed Mallah (2022)
- Analysis of Emotional Expressions in Arabic Fol